حتى يفيقوا من "الغيبوبة السياسية"!

ابراهيم صالح

التحرير

مشكلة شعب فلسطين التى استمر عرضها على المسرح السياسى العالمى أكثر من ستة وثلاثين عاما ، تقترب من الفصل الأخير . ورحلة الألف ميل للقضية الفلسطينية تدخل الآن مرحلتها النهائية . والخطوة الأولى فى هذه الرحلة بدأت من هنا . . من مصر . وقد خطتها مصر وهى تحمل على إحدى كتفيها القضية الفلسطينية وعلى الكتف الأخرى باقى الدول العربية . حتى تبدو المسيرة . جماعية . وحتى تكسبهم الدفعة الأولى للحركة . وحتى يستطيعوا السير على أقدامهم وحدهم . . فلم يكونوا وقتها قادرين على الحركة – كل بمفرده . ولامجتمعين – بدون مصر . . وما زالوا ! ! .

ولكنهم توقعوا من يومها انهم اصحاب فضل مادامو قد كانوا . مع مصر . منذ البداية . وصدقوا انفسهم حتى بدأوا يعتقدون أنهم أصحاب الفضل الأول فى النضال من أجل قضية شعب فلسطين . وبالتالى فهم أصحاب الحق فى . اخل والربط ! ! . وساعدهم على الاتهاس فى هذه الأوهام . الغيبوبة التى يعيشون . . . نجحة لأنواع من . الخدرات السياسية . يتعاطونها . بعض جهات . حتى اصبح . . . نجحب تأثيرها عن عقولهم الاذرات . . . وتحجب دخانها عن عيونهم . . . . . من عيونهم السياسية . وقرأوا . . . لادركوا ان مصر – خطوانها – . . . كل جهد . وان مصر ستكون – . . . حل

أولا . . سياسيا

● . . . سياسى مصرى المباشر من أجل . . . اكتوبر عام ١٩٤٤ . عندما اجتمعت الدول العربية فى مصر . وبدعوة منها . وحول مشروع بيان أعدته مصر ووافقوا عليه . الأردن الصفة العربية إليها . وعارضت مصر هذا بشدة فى ذلك الوقت .

أول دستور فلسطينى

● وعلى نفس الطريق فى عام ١٩٦٢ . صدر من غزة – تحت الإدارة المصرية – دستور فلسطينى يؤكد أن فلسطين جزء من الأمة العربية . وان غزة جزء من فلسطين . وكان المجتمع الدولى ممهدا إلى حد كبير لتقبل هذا . فقد حملت مصر قضية فلسطين إلى كل المحافل الدولية فى ذلك الوقت . وخاصة النشاط الأفرو – آسيوى الذى برز فى تلك المرحلة كقوة دولية سياسية مؤثرة .

● وعندما صدر قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ قبلته مصر لأنه أكد مبدأ عدم جواز الاستيلاء على أراضى الغير بالقوة . ونص على الانسحاب الإسرائيلى من الأراضى المحتلة . وإن كان قد تناول قضية الفلسطينيين كلاجئين فقط . ولكنها كانت بداية على أى حال .

حق تقرير المصير

● وتجهود مصرى متواصل فى المجتمع الدولى مع تركيز على الأمم المتحدة صدر قرار من الجمعية العامة للأمم المتحدة عام ١٩٧٠ يؤكد حق الشعب الفلسطينى فى تقرير مصيره .

● وفى عام ١٩٧٣ – قبل حرب أكتوبر بشهور – أعادت مصر طرح الموقف على مجلس الأمن مع مشروع قرار يشير إلى تهديد الموقف بالانفجار واستحالة استمرار حالة اللاسلم واللاحرب . وخطر استمرار الاحتلال الاسرائيلى للأرض العربية . ووافقت على القرار ١٤ دولة من ١٥ واستخدمت أمريكا حق الفيتو فلم يصدر القرار . ولكن كان مؤشرا واضحا على رأى العالم العالمى واستجابته لوجهة النظر المصرية وجهدها

ثانيا . . عسكريا

كان هذا على الجانب السياسى . أما على الجانب العسكرى . فقد خملت مصر – ولا أحد يستطيع أن ينكر هذا – خملت أعباء أربع حروب كان السبب الرئيسى وراءها هو الدفاع عن شعب فلسطين وحقوقه المشروعة وإن تداخلت مع هذا السبب أسباب أخرى فى بعض تلك الحروب . وكلها عربية .

١٩٤٧

● عندما صدر قرار تقسيم فلسطين عن الأمم المتحدة بأغلبية صوت واحد – ! ! – تدفق شباب مصر على أرض فلسطين للدفاع عن حق شعبها فى الحياة والتقرير المصير . كما تدفقت من مصر كميات من الأسلحة والمعدات والذخائر

د . بطرس غالى

هيدى لينس .

وظل الأمر كذلك فى نهاية عام ١٩٤٧ والشهور الأولى من عام ١٩٤٨ .

١٩٤٨

● فى مايو ١٩٤٨ مع انتهاء الانتداب البريطانى على فلسطين وإعلان قيام دولة إسرائيل ، دخلت القوات المسلحة المصرية الحرب لتدافع عن حق الشعب الفلسطينى ، وعن حياته من المذابح التى قامت بها العصابات الصهيونية . تلك المذابح التى لم تفرق فيها بين النساء والأطفال والعجائز والرجال . صحيح أن باقى الدول العربية دخلت الحرب رسميا ، ولكن كمية الدماء المصرية التى روت أرض فلسطين معروفة للجميع .

١٩٥٦

● عندما أممت مصر قناة السويس تجمع الاحتكارات الدولية والتدخلات الأجنبية من السيطرة على الدول العربية ، ليكونوا أكثر قوة فى الدفاع عن الحق الفلسطينى ، عوقبت على ذلك بعدوان ١٩٥٦ ، الذى اشتركت فيه مع إسرائيل كل من فرنسا وبريطانيا . واستطاع شعب مصر أن يصد العدوان وحده . وأن يستغله سياسيا لصالح شعب فلسطين وقضيته .

١٩٦٧

● بالقضية الفلسطينية كخلفية ، وبإنذار وهمى بأن اعتداء إسرائيليا على وشك الوقوع ضد سوريا ، ونصيحة مغرضة لمصر بعدم البدء بالضربة الأولى .. كانت مصيدة حرب ١٩٦٧ للقوات المسلحة المصرية ، وهزيمتها القاسية . ولكن الشعب المصرى لم يفقد توازنه .. ولا إرادته .

١٩٧٣

● ثم كان أكتوبر ١٩٧٣ . حققت مصر نصرا لكل العرب وللقضية الفلسطينية ، عندما استخدمت .. حق القوة ، لتوضح للعالم كله .. قوة الحق .

ثالثا .. تمثيل الفلسطينيين

ولعله لا يخفى على أحد ، أن مصر هى التى حصلت لمنظمة التحرير الفلسطينية على اعتراف العالم بها كممثل شرعى وحيد لشعب فلسطين .

● ففى مؤتمرى القمة العربية فى الجزائر عام ١٩٧٣ ثم فى الرباط عام ١٩٧٤ جاهدت مصر حتى صدر قرار عرفى باعتبار المنظمة الممثل الشرعى الوحيد لشعب فلسطين وهو القرار الذى تحفظت عليه الأردن .

● وحملت مصر هذا القرار إلى الأمم المتحدة ، ممثلة للمجتمع الدولى ، فأيدته . واستطاعت مصر أن تحصل على اعتراف الأغلبية العظمى للعالم الحرى بالمنظمة .

● بل أكثر من هذا .. فإن أول مرة يعترف فيها الاتحاد السوفيتى بحق المنظمة فى تمثيل شعب فلسطين فى مؤتمر جنيف على قدم المساواة مع باقى الأطراف ، كانت فى بيان مشترك مع مصر فى أكتوبر ١٩٧٤ .

● وفى نفس الشهر (أكتوبر ١٩٧٤) حصلت مصر من الجمعية العامة للأمم المتحدة ، على دعوة للمنظمة للاشتراك فى مناقشة القضية الفلسطينية ، التى انتهت بقرار يؤكد حق الشعب الفلسطينى فى تقرير المصير والاستقلال والسيادة والعودة إلى أرضه ، ومنح المنظمة صفة العضو المراقب فى الأمم المتحدة ممثلة لشعب فلسطين .

● وفى أكتوبر ١٩٧٥ طالب الرئيس السادات الأمم المتحدة ، بدعوة منظمة التحرير الفلسطينية إلى المشاركة فى جميع أعمال وجهود السلام فى الشرق الأوسط ، ولبت الأمم المتحدة هذا الاقتراح فعلا فى قرارها رقم ٣٣٧٥ .

● وبناء على ذلك ، طلبت مصر دعوة المنظمة إلى الاشتراك فى مناقشات مجلس الأمن حول قضية الشرق الأوسط فى ديسمبر ١٩٧٥ واستجاب مجلس الأمن لذلك فعلا .

● وفى يناير ١٩٧٦ طلبت مصر رسميا من الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتى دعوة المنظمة للمشاركة فى أعمال مؤتمر جنيف .

● وكانت مصر هى التى تقدمت فى سبتمبر ١٩٧٦ باقتراح إلى مجلس الجامعة العربية ، بمنح المنظمة العضوية الكاملة فى الجامعة العربية ، على قدم المساواة مع باقى الدول الأعضاء . ووافق مجلس الجامعة العربية على اقتراح مصر .

ثم كان السلام

ومن فوق منبر مجلس الشعب يوم ١٦ أكتوبر ١٩٧٣ ، ومصر فى أوج انتصارها ، وجه الرئيس السادات مبادرته بالدعوة إلى مؤتمر دولى لسلام الشرق الأوسط من خلال حل شامل للمشكلة من جميع جوانبها ، وقد استجاب مجلس الأمن لهذه الدعوة عندما أصدر قراره رقم ٣٣٨ بوقف نيران حرب أكتوبر وبدء المفاوضات بين الأطراف لتنفيذ القرار ٢٤٢ . وهكذا اجتمع مؤتمر جنيف فى ديسمبر ١٩٧٣ تحت رئاسة الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتى .

وحضرته مصر وسوريا والأردن وإسرائيل . حيث وقعت سوريا اتفاقية فصل القوات مع إسرائيل . ثم تراجعت عن مسيرة السلام .

أشجع مبادرة

وتخطى مصر على طريق استعادة الحقوق المشروعة لشعب فلسطين فى إطار سلام شامل فى الشرق الأوسط .

وفى نوفمبر عام ١٩٧٧ .. يقوم الرئيس السادات بأروع مبادرة سلام فى التاريخ السياسى المعاصر .

ومن فوق منبر الكنيست الإسرائيلى يعلن الرئيس السادات بوضوح ، وقوف مصر وراء الحق الفلسطينى المشروع فى تقرير المصير والاستقلال والسيادة على أرضه فى الضفة الغربية وغزة والقدس العربية .

وتواصل مصر مسيرتها ، فيعقد مؤتمر القاهرة التمهيدى للسلام فى ديسمبر ١٩٧٧ .

أول اعتراف أمريكى

ويوم ٤ يناير ١٩٧٨ .. يصل الرئيس الأمريكى جيمى كارتر إلى أسوان فى زيارة قصيرة ، يعلن فيها أول بيان أمريكى رسمى مكتوب يشير إلى أن حل المشكلة الفلسطينية يجب أن يشمل جميع جوانبها ، وإلى « الحقوق المشروعة » لشعب فلسطين وإلى أنه يجب أن يشترك فى تقرير مستقبله ، وكان الرئيس كارتر قد أعلن قبلها بأيام ، وبالتحديد يوم ٢٩ ديسمبر ١٩٧٧ – حق الشعب الفلسطينى فى وطن قومى .

وأول اعتراف إسرائيلى

وتوالت الاتصالات المصرية والاجتماعات السياسية حتى كان سبتمبر ١٩٧٨ ، عندما عقد مؤتمر قمة كامب ديفيد بين الرئيس السادات ، والرئيس كارتر ، ومناحم بيجين رئيس وزراء إسرائيل . وأخر المؤتمر أول وثيقة لسلام الشرق الأوسط على أساس الحل الشامل . ووقعت إسرائيل على أول وثيقة تعترف فيها أن هناك شعبا اسمه « شعب فلسطين » وأن لهذا الشعب « حقوقا مشروعة » .

فى كامب ديفيد (سبتمبر ١٩٧٨) وقع بيجين على أول اعتراف إسرائيلى بوجود شعب فلسطين وبأن له حقوقاً مشروعة .

ثم معاهدة السلام

وبدأت مفاوضات معاهدة السلام المصرية الإسرائيلية فى قصر « بلير هاوس » بواشنطن فى ١٢ أكتوبر ١٩٧٨ ، مع إصرار مصرى على الربط بين استعادة الأرض المصرية واستعادة الحق الفلسطينى ، ومن أجل هذا الإصرار المصرى كان مؤتمر كامب ديفيد الثانى على مستوى وزراء الخارجية فى فبراير ١٩٧٩ .

وفى ١٥ مارس ١٩٧٩ .. تلقى الدكتور مصطفى خليل رئيس الوزراء المصرى ووزير الخارجية ، عن طريق السفير الأمريكى فى القاهرة ، رسالة تلقتها الحكومة الأمريكية من مناحم بيجين رئيس وزراء إسرائيل ، يتعهد فيها بإطلاق حرية التعبير السياسى للضفة الغربية وغزة ، وحرية التنقل والسفر إلى الخارج ، والإفراج عن المسجونين السياسيين ، وإعادة جميع شمال العلاقات التى قرقتها حرب يونيو ١٩٦٧ ، وأنه بعد توقيع معاهدة السلام مع مصر ستسحب القيادات العسكرية الإسرائيلية من غزة والضفة الغربية إلى مناطق غير مأهولة بالسكان .

ووقعت المعاهدة المصرية الإسرائيلية يوم ٢٦ مارس ١٩٧٩ .

والآن .. الحكم الذاتى

وقبل أن تسترد مصر أول جزء من سيناء تنفيذا لمعاهدة السلام ، قبلها بأربع وعشرين ساعة . بدأت مصر مباحثاتها مع إسرائيل من أجل الحكم الذاتى الفلسطينى يوم ٢٥ مايو ١٩٧٩ .

ومنذ ذلك التاريخ ومفاوضات تحقيق الحكم الذاتى لشعب فلسطين مستمرة . وتخللها اجتماعان على مستوى القمة بين الرئيس السادات ، ومناحم بيجين رئيس وزراء إسرائيل ، وعشرة اجتماعات على المستوى الوزارى ، وعشرات من اجتماعات اللجان والاجتماعات الفرعية الأخرى .

ومن أجلها ذهب الرئيس السادات إلى لقاء قمة مع الرئيس الأمريكى جيمى كارتر فى واشنطن . ومن أجلها استقبل الرئيس الأمريكى كارتر فى واشنطن منذ أيام .. مناحم بيجين رئيس وزراء إسرائيل .

□□□

وبعد ..

فهذه الوقائع كلها تضمنها كتيب صغير أعدته وزارة الخارجية المصرية ، وقرأه العالم كله . ولم يكن مقصودا منه إعلان شىء لأول مرة . فهذه كلها حقائق تاريخية ، ووقائع دولية معروفة ، ولكن .. ربما كان القصد منه انعاش ذاكرة بعض القيادات العربية والفلسطينية ، لعلهم يفيقون من الغيبوبة السياسية التى يعيشون فيها ، ويتخلصون من إدمان « المخدرات السياسية » التى تغرقهم بها بعض الجهات .. فتدرك عقولهم الحقائق .. وتتجلى الرؤية أمام عيونهم ! ! . ■